خبز ساخن، بطعم مختلف..!

(١)

أمسي الليل علي المدينة بعد أن هدأ القتال، فنهض مازن الصغير ابن التاسعة، كان الليل ما زال ينشر ظلامه، أوقد السراج علي مهلٍ وقلق، فأحس بحفيف ثوب أبيه قادما، أصغي إلي وقع أقدامه علي البلاط المهشم بعضه، انتبه مازن إليه، كان أبوه يلمحه بصعوبة، فلما تأكد منه بادره بابتسامته المعتادة، ضمه لصدره وأجلسه علي فخذيه، قال له ويده تمسح علي شعره المجعد:

- أنت صاحي للآن ليه يا بني؟!

تلعثم مازن، وتحلب ريقه، وقال:

- قرصني الجوع يا أبي..بعض من لُقيمات الخبز تكفيني..! فتوجع الأب وعاد يربت علي كتف الصغير:

- إن شاء الله سأحضر لك خبزاً في الصباح، لعنة الله علي الحصار يا بني، لعنة الله علي الحروب !

(٢)

وفي الصباح الباكر خرج مازن مع والده يحفهم الحذر والقلق معاً، كانت الشوارع تزدحم بهدم المباني وطفح الصرف الصحي، قال الأب لمازن:
- يابني لا تتحرك من هنا وسأحضر لك الخبز سريعاً، أرجوك لا تتحرك..
- حاضر يا أبي لا تقلق عليّ.. وتقدم الأب بعض الخطوات صوب مخبز عم (دريد فوَّاز)، كانت عيناه ترتجفان، لا تثبت علي شئ بعينه، ومن آن لآخر يعود ببصره ناحية ابنه مازن الصغير الذي يرقد تحت (تاندة) خرسانية في جانب الطريق، عاد ريقه يتحلب من جديد، ولما حصل علي بعض أرغفة الخبز سكن فؤاده بجنبيه من جديد، وهز رأسه وهو يتذكر زوجته التي رحلت عن الدنيا العام الماضي عند بدء الحرب جراء القصف الغاشم، ولما ماتت الزوجة ظل مازن هو الوحيد الذي يملأ عليه حياته، ويجعل لها طعماً مغايراً وجميلاً، مازال الأب ينقل قدميه المتعبتين بين الركام والأدخنة المتصاعدة من مصادر مجهولة.. واحتوته زحمة الجثث بين حنايا الأزقة والدروب المدمرة معظمها ..
– هل دُمر قبر زوجتي؟!.. هزَّ رأسه نافياً قبل أن يتحقق من الإجابة.. لمح علي بعد أمتار منه شبحاً لمازن يتوجس خيفة وهو يرقد تحت التاندة، شعر الأب أن مازن قد تحرك قليلاً عن مكانه.. فصرخ بأعلي صوته..
- ارجع يا مازن.. فارتجف الطفل، ولكنه عاد إلي ثباته وابتسامته؛ عندما رأي والده يحمل بعضا من الخبز الساخن.. كان الأب يقترب.. والطفل يتقدم إليه، الأب يحملق في ابنه الذي خالف كلامه.. صرخ فيه بهلع : «ارجع يا مازن..» ولكن حركة القنَّاص الغاشم كانت أسرع من كلماته.. فسقط الأب قتيلاً واختلط الخبز بالدماء، فصرخ الطفل.. وأسرع يحضن والده الذي سقط علي الأرض قتيلاً، صرخ الطفل مرتجفاً، وعاد يحدث والده هامساً - يا أبتي.. ما عدت بجائع.. أرجوك ارجع !! وبعد لحظات سقط فك الطفل وتجمد.. عندما لمح القناص يقترب منه ويقترب، فعاد الطفل يحضن والده القتيل لا يهاب المشهد، بعد أن مسك-بقوة- علي خبز أبيه..!!